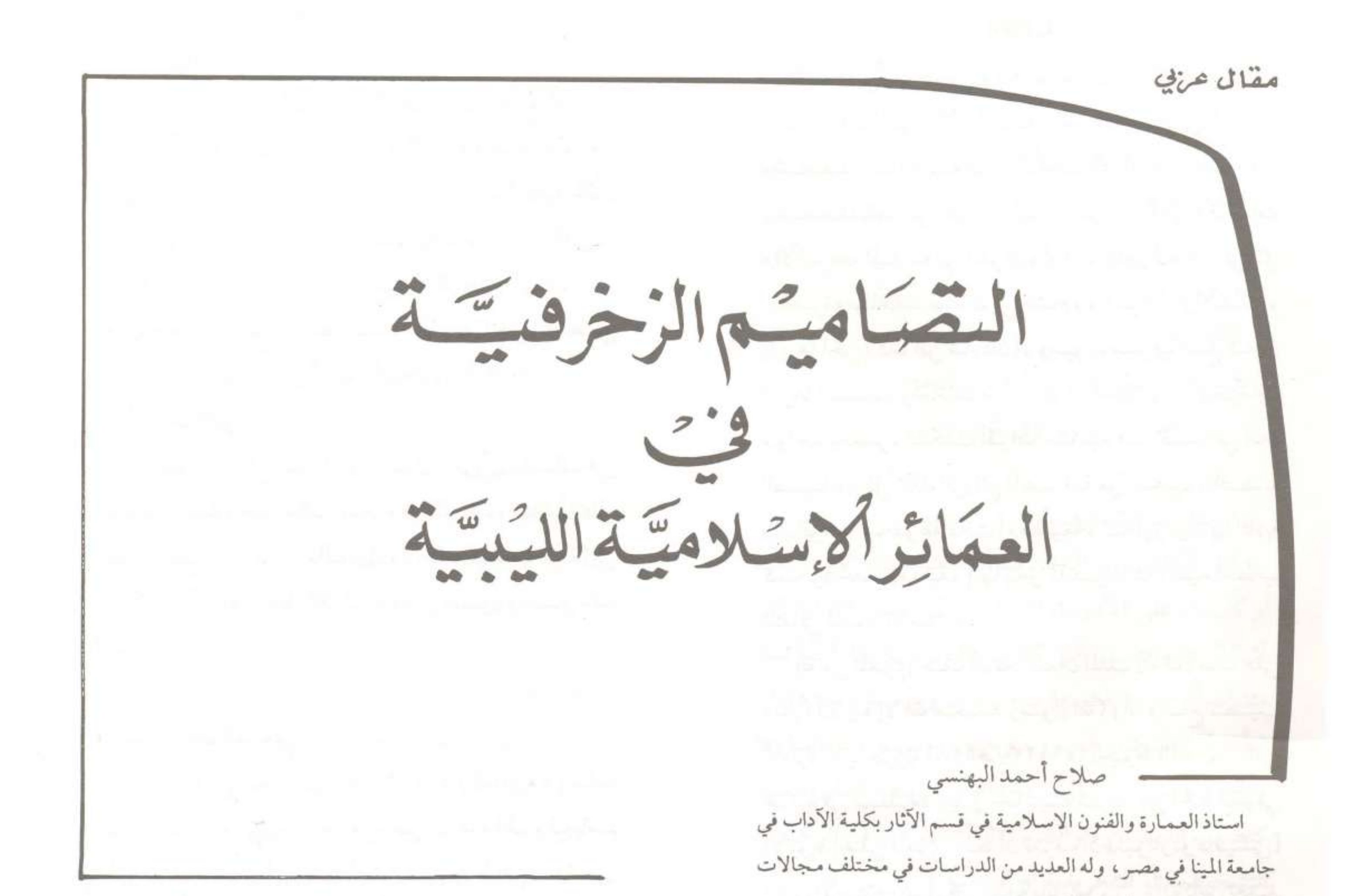
issue: 59-60 1995 Alhyat Altashkilya .. YONIS ALSHALOI



التصاميم الزخرفية في العمائر الإسلامية الليبية

صلاح أحمد البهنسي

استاذ العمارة والفنون الاسلامية في قسم الآثار بكلية الآداب في جامعة المينا في مصر، وله العديد من الدراسات في مختلف مجالات العمارة والفنون والحضارة الاسلامية.

مقدمة:

من أهم السمات التي تميز العمائر الاسلامية الليبية التي تراجع إلى ماقبل العصر العثماني الأول (٨٥٩ - ١١٢٣هـ/ ١٥٥١ - ١٧١١م) إفتقادها إلى الثراء الزخرفي ومع مجيىء العثمانيين إختلف الأمر إلى حد كبير حيث أخذ الاهتمام بالجانب الزخرفي يزداد شيئاً فشيئاً حتى بلغ الثراء الزخرفي مداه في العصر القرمانلي (١١٢٣ - ١٢٥٠هـ/ ١٧١١ - ١٨٣٥م).

وقد يعزى السبب في قلة الزخارف وبساطتها الى الاهتمام بالناحية الوظيفية، أكثر من الإهتمام بالنواحي الجمالية، ولكن الرأي الأصوب أن ذلك يرجع الى ندرة الفنانين، في البلاد كما ذكر [بيتر ورمانيللي] عند حديثه عن المنازل العربية في طرابلس (١)، ولعل ذلك يبدو واضحاً إذا تأملنا العمائر الدينية، إذ تجد أن هذه العمائر كانت تتميز بالثراء الزخرفي في الفترات، التي تشهد فيها البلاد هجرات أعداد من الأندلسيين إلى ليبيا نتيجة لبعض الظروف السياسية، مثل هجرة (مسلمى الأندلس) عندما طردهم الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا سنة (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)، وكذلك في الفترات التي كانت علاقات ليبيا مع جيرانها في تونس، وبلاد المغرب العربي طيبة، فنجد أن العمائر التي أوردت المصادر التاريخية أنه قد استعين بصناع من (تونس) لانجازها مثل جامع (شائب، العين) و (جامع أحمد باشا) وجامع (قورجى) تتميز بثراء زخرفي واضح، ويؤكد ذلك أيضاً أن قلة الزخارف لا ترجع الى أسباب دينية، تتمثل في الابتعاد عن الزخرفة، إذا أننا نجد في المساجد المشيدة في المدن القريبة من المواقع الأثرية اليونانية والرومانية، يستعان بأجزاء من حشوات رخامية أو حجرية مزخرفة لزخرفة بعض المساجد.

فالزخارف التي تحيط بمدخل بيت الصلاة، في مسجد (الشيخ علي الفرجاني) في قرية سوق الخميس، قرب مدينة الخمس (شرق طرابلس)، تشتمل على زخارف رومانية مجلوبة من مدينة لبدة الأثرية، كما نجد زخارف مماثلة مكونة من أوراق الأكنتس، وزخرفة البيضة، واللسان، وأكاليل الغار منفذة على مثمن منطقة إنتقال لقبة في مسجد (الشيخ أحمد بن محمد بن جحا) في مدينة الخمس،(٢) بل اننا نجد في جامع درنة (شرق بنغازي)، الذي أسسه (محمد القرمانلي) سنة ١٠٨١هـ/ ١٦٦٣م، تاج عمود عليه زخرفة منحوتة نحتاً بارزاً يمثل رأساً أدمياً،(٣) أى ان مبدأ الزخرفة لم يكن مرفوضاً، وإنما عدم توفر المهارات الفنية القادرة على انجاز التصميمات الزخرفية، التي تتسم بالثراء كان السبب الأساسي.

ومن خلال ماوصلنا من عمائر [العصر العثماني الأول] والعصر [القرمانلي] يتضح أن الميل الى الزخرفة إزداد بشكل ملحوظ، وان مواد الزخرفة قد تنوعت تنوعاً كبيراً، فلقد ذكرت الكاتبة [ليدي ورثلي] Lady Worthley التي زارت (طرابلس) في فترة حكم علي باشا القرمانلي (١١٦٨ - ١٢٠٨هـ/ ١٧٥٤م)، أن منازل منطقة المنشية بطرابلس، مزينة بالقاشاني الفاخر،(٤) كما ذكرت (توللي) Tolley التي زارت طربلس سنة (١٧٨٣ - ١٧٩٣م)، ان منازل طرابلس، لا يوجد بها زجاج في النوافذ، ولكنها مغطاة بحصير من الخشب مقطوعة قطعاً عجيباً مدهشاً،(٥) بالاضافة الى الزخارف المنقذة على الجص والحجر والرخام، ونستعرض فيما يلي أهم الأساليب الزخرفية المستخدمة في العمائر الليبية:

أولاً: الزخارف الكتابية

استخدم الفنان المسلم الخط العربي، كعنصر زخرفي ولم يقتصر في ذلك على تطويع الحروف العربية، ولكن وضع للخط قواعد روعى فيها أن تؤدي شكلاً جمالياً ممتعاً، فمزج بين الحروف والزخرفة النباتية ثم العناصر الهندسية، وأخيراً استخدم الأشكال الآدمية، كجذوع لبعض الحروف، كما في العصر المملوكي، أو تشكيل الكتابات على هيئة الطير كما في (الطغراء). ولقد تعددت المواضع، التي تنفذ عليها الكتابات في العمائر اللبية، مما ترتب عليه تنوع هذه الكتابات، حسب اختلاف المواضع المخصصة لها، سواء كان ذلك من حيث النص الكتابى أو من حيث طريقة تنفيذ أو الزخارف، ومن أهم المواضع التي سجلت عليها الكتابات:

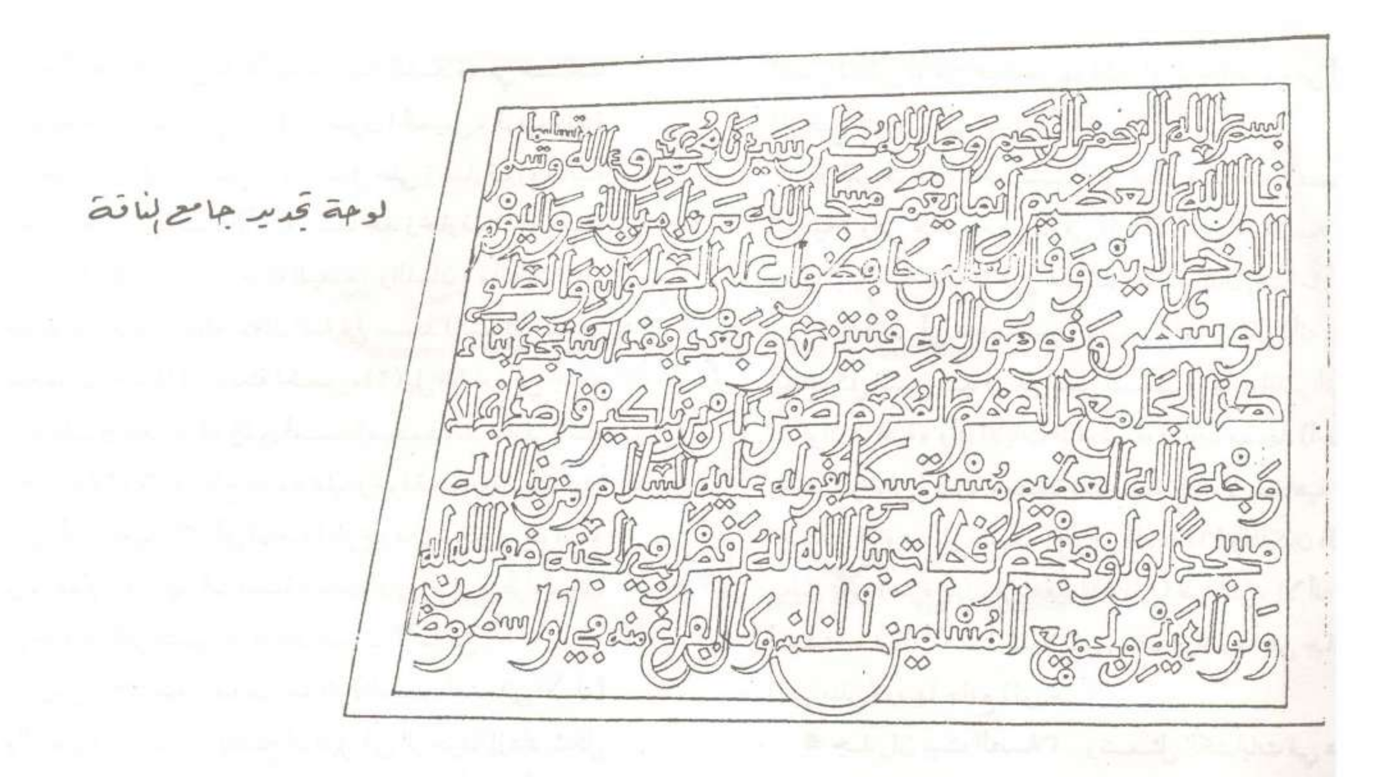
* **اللوحات التأسيسية التي تعلو مداخل العمائر الدينية:** وهي ظاهرة مألوفة في كل بلدان العالم الاسلامي ومنها ليبيا، والكتابات على هذه اللوحات، تنال إهتماماً أكبر من الخطاط عن أي موضع آخر، ولقد ذكرت (توللى) أنه فوق أبواب كل المساجد في طرابلس نقشت الآيات القرآنية بالآلوان الزاهية، وأن الآيات المنقوشة فوق باب مسجد (أحمد باشا القرامنلي) ملونة ومطلية بالذهب، طلاء لا يضاهيه في الجمال والروعة أى مسجد آخر في المدينة (٦) واذا كان ذلك ينطبق على الفترة التي زارت فيها (توللى) طرابلس، إلا أنه قد أنشئت بعد ذلك مساجد لا تقل رونقاً وزخرفاً عن جامع (القرامنلي) ومنها جامع (قورجى).

* **جدران بيت الصلاة:** وتتمثل الكتابات في هذا الموضع على الأيات القرآنية أو الأدعية التي تنفذ على أرضية من زخارف نباتية في شريط ممتد افقياً، أو أن تحدد لها مناطق، ذات أشكال هندسية بيضاوية، أو مستطيلة أو مربعة، أو دائرية، أو كتابية على بلاطات خزفية، نصها «بركة محمد» توزع على الجدران كما في جامع (درغوث) و (مسجد محمود) و(مسجد الدباغ) و (زاوية عطية).

* **بواطن المحاريب:** غالباً ما تشتمل على الآية الكريمة [«حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] كما في محراب [جامع احمد باشا] (شكل ٩) وقد نفذت هذه الكتابات بالحفر في الجص، أو بطريقة القالب حيث تبدو الكتابات بارزة أو بالتلوين.

* **دوائر القباب ومناطق الانتقال للقباب:** نلاحظ أن النص يتم اختياره متناسباً مع المكان المعد له، لذلك فإن دائر القبه يشتمل على آية قرآنية، بينما في مناطق الانتقال، سواء كانت حنايا ركنيه، أو مثلثات كروية، فإنها غالباً ما تشتمل على أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة.

* **بطون العقود:** وقد شاع هذا الاسلوب في مساجد (الدواخل) وبصفة خاصة في مناطق (الخمس) و(مصراته) و (مسلاته) حيث كانت الكتابات تنفذ على بطون العقود بطريقة القالب، وكتابات بسيطة، وليست نصوصاً كاملة، وغالباً ما


لوحة تجديد جامع الناقة

تكون اسم مؤسس المسجد أو الصناع .

* في العصر القرمانلى استخدمت لوحات خزفية، تشتمل على كتابات توضع في مداخل المنازل، تشير الى بهجة المنزل، وبعض الآيات القرآنية، وبخاصة [ادخلوها بسلام آمنين] ومن أمثلتها اللوحة الموجودة في (بيت محسن) بمدينة طرابلس .

المظاهر الزخرفية في الكتابات الليبية :

لقيت معظم الكتابات المنفذة، على العمائر الليبية بإسلوب الخط المغربي، بالإضافة الى استمرار استعمال (الخط الكوفي) في بعض اللوحات في العصر العثماني الأول مثل لوحة تجديد جامع الناقة (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) «شكل ١»، وقد حرص الفنان على إضفاء لمسات زخرفية على كتاباته، وتتمثل أهم المظاهر الزخرفية في:

* من حيث التحديد الخارجي للوحات التأسيس استخدمت طريقة إحاطتها بإطار حجري أو رخامي، بارز على هيئة جفت، وهذا هو التقليد الشائع في معظم اللوحات، وفي بعض الأحيان أصبح هذا الاطار، أكثر زخرفة بتشكيله على هيئة شريط مجدول ينعقد في أشكال دوائر متتالية (شكل ١٦)، ويتضح ذلك في الاطار المحيط بلوحة تأسيس مدرسة عثمان باشا بطرابلس، ـ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م)، ولمزيد من الزخرفة فانه يملأ الدائرة التي في الزوايا الأربع بشكل وريدة متعددة الفصوص .

* إحاطة اللوحات ببلاطات خزفية تشتمل على زخارف هندسية ونباتية، مما يزيد من ابراز اللوحة، ونجد أمثلة لذلك في لوحة جامع درغوت باشا (٩٧٥هـ/ ١٥٦٥م)، وجامع محمد باشا شائب العين (١١١٠هـ/ ١٦٩٩م)، «شكل ٣» وجامع قورجى (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م).

*** من حيث المعالجة الزخرفية لساحة اللوحة، اتبعت عدة مظاهر منها :**

× تقسيم اللوحة الى مساحات متساوية مستطيلة أو بيضاوية يوزع النص بداخلها، وقد ظهر هذا الاسلوب، في أواخر العصر العثماني الاول في جامع خليل باشا، (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) ثم استمر في (العصر القرمانلى) والعصر العثماني الثاني (١٢٥١ ـ ١٣٢٩هـ/ ١٨٣٥ ـ ١٩١١م).

× عمل فاصل رأسي يفصل بين شطرات الشعر، ويشكل هذا الفاصل بشكل زخرفي، من أشكال هندسية تنتهي بشكل

هلال، ومن أمثلة ذلك لوحة مسجد محمود (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) «شكل ٢»، أو بخطين رأسيين متوازيين بملأ الفراغ بينهما زخارف هندسية ونباتية دقيقة، كما في لوحة تأسيس جامع أحمد باشا القرمانلي، (١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م).

× رسم شكل يمثل فرع نباتي، أو زهرة في كل زاوية من الزوايا الأربع الداخلية للوحة مما يضفي على اللوحة تماثلاً ويحقق التوازن، ومن أمثلة ذلك لوحة جامع محمود «شكل ٢».

× ملأ فراغ تقعر بعض الحروف مثل (النون) بشكل ورقة نباتية أو زهرة، وعمل النقطة، وكذلك علامة السكون، على شكل دائرة منقوطة، مثال ذلك لوحة تجديد جامع الناقة «شكل ١».

× تنفيذ الفواصل بين الآيات القرآنية على شكل دوائر بداخلها أو خطوط متقاطعة.

× الحرص على تحقيق التماثل بين النهايات السفلى للحروف، بتكرار كتابة حرف تحت الحروف، التي لاتمتد الى أسفل مثل حرف (ص) تحت كلمة (صلى) أو حرف (ج) تحت كلمة «المسجد» (شكل ٢).

× تنفيذ الكتابات على أرضية، من زخارف نباتية دقيقة، مثل كتابات جامع أحمد باشا، أو تنفيذ الكتابة في شرطين متوازيين، يفصل بينهما شريط من زخارف نباتية دقيقة، كما في أعلى محراب جامع الناقة.

ثانياً: الزخارف النباتية والهندسية:

١ ـ أساليب تنفيذ الزخارف النباتية:

تشكل الزخارف النباتية عنصراً مميزاً في فن الزخرفة الاسلامية في ليبيا، إذ لم يقتصر الأمر على تنفيذها بشكل خالص، بل انها تتداخل مع النصوص الكتابية، ومع العناصر الزخرفية الهندسية، وقد استخدمت الزخارف النباتية، في مواضع شتى من العمائر الليبية الدينية والمدنية، سواء كان ذلك على الواجبات أو أعلى المدخل، وفي جدران بيت الصلاة وفي تجاويف المحاريب، وعلى المنابر والسدات وعلى تيجان الأعمدة، كما زخرفت بعض المواضع من الميضاءة بمثل هذه الزخارف، وفي العمارة المدنية شملت الواجهات والمداخل والجدران والأسقف.

ولقد تعددت الطرق المستخدمه في عمل هذه الزخارف، فمنها الحفر البارز أو الغائر، الذي إستخدم على الحجر والرخام والخشب، ومنها الزخرفة القالبيه التي آستخدمت في الزخارف الجصية، والزخرفة باستخدام مثاقيب، من قضبان حديدية دقيقة، لعمل زخارف دقيقة، في الجص، قبل أن يجف وهي الطريقة التي تعرف بأسم (نقش حديدة) التي شاع إستخدامها في بلاد المغرب الإسلامي، وبصفه خاصه في (الجزائر) و(تونس) وإنتقلت منها إلى ليبيا، ومن طرق تنفيذ الزخرفة النباتيه في العمارة الإسلامية في ليبيا الرسم والتلوين، واستخدمت هذه الطريقة على نطاق ضيق في عمل رسوم جداريه، بينما إستخدمت على نطاق واسع في زخرفة التحف الخشبية، وبصفة خاصه في أواخر العصر العثماني الأول، واستمرت خلال العصر القرمانلي، وبصفة خاصه في زخرفة السدات الخشبية، في المساجد، وبعض المحاريب مثل محراب جامع محمد باشا شائب العين، أو في زخرفة الأسقف في العمائر المدنية، وفي أواخر العصر العثماني الأول استخدمت بلاطات القاشاني في تغطية أجزاء من الجدران، وأجزاء من المآذن، كما في جامع (محمد باشا شائب العين) وجامع (خليل باشا)، بعد ما كانت تقتصر في بداية هذا العصر على إحاطة اللوحات التأسيسيه والمحاريب كما في جامع (درغوت باشا) ومسجد (بن مقيل) (ق١٠هـ/ ١٦م) ومسجد النخلي (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣)، وفي (العصر القرمانلي) أصبح الأسلوب الزخرفي يعتمد، إلى حد كبير، على استخدام البلاطات فنجدها تغطي الجدران الخارجية والداخلية) لبيت الصلاة في كل من جامع (أحمد باشا القرمانلي) وجامع (قورجي) كما كانت البلاطات عنصزاً متميزاً في تكسية جدران هذه البلاطات، بالإضافة إلى الأشكال الهندسية والزخارف الكتابيه.

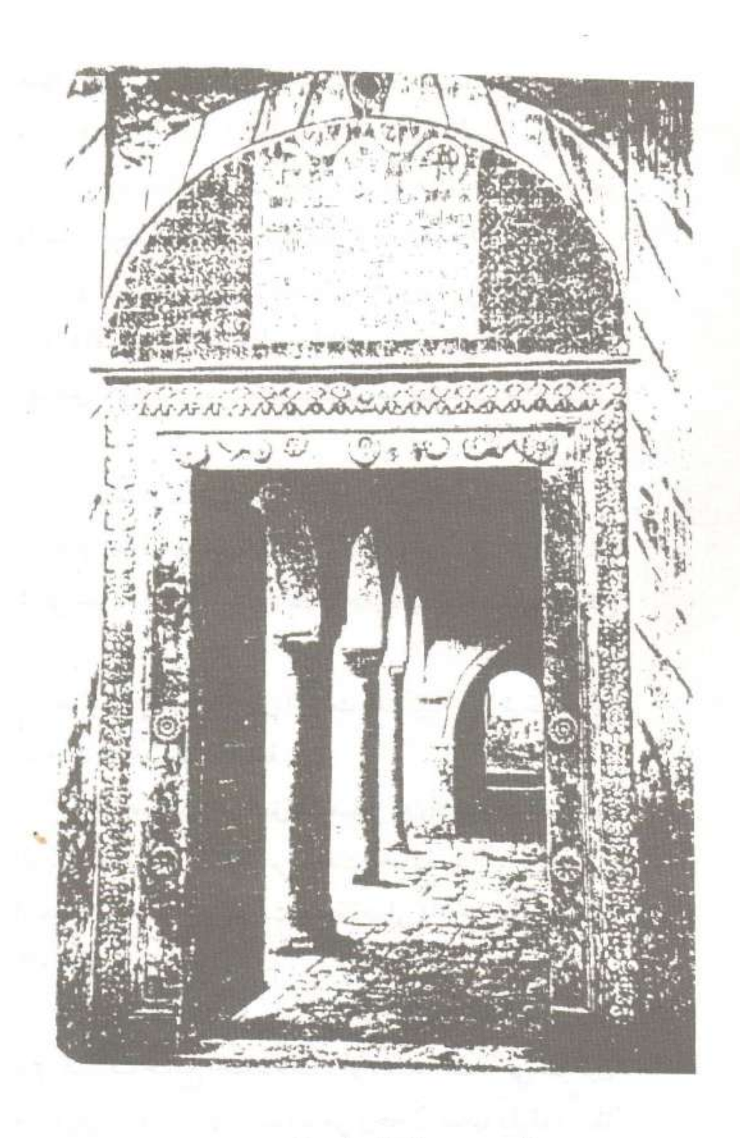
٢- العناصر الزخرفية النباتيه:

نفذت العناصر النباتية، أما مفردة، وذلك بتمثيل عنصر واحد مثل رسم وريدة، أو نجمة، أو هلال، أو على شكل تصميم زخرفي، يكون موضوعاً زخرفياً متكاملاً، تظهر فيه عدة عناصر نباتية، ومن النوع الأول نجد:

الوريدة: من أكثر العناصر الزخرفية النباتية

استخداماً في العمارة الليبية، ومنها الوريده من خمس تبلات، أو ست، أو ثماني، ومنها (الوريدة المروحيه) حول دائرة بارزة في الوسط، والوريدة على هيئة، (نهد) تتعدد بتلاتها وتختلف في درجة بروزها، إذ تتراوح بتلاتها بين ثلاث وإحدى عشرة بتلة(٧)، وجدت (الوريدة) في مواضع مختلفة على عقود المدخل أعلى الصنجة المفتاحيه للعقد أو أن توزع في جوانب كوشتي العقد، ومن أمثلة ذلك عقد مدخل الدروج بطرابلس (ق١١هـ/ ١٧م)، ومدخل جامع (شائب العين) وعلى مدخل الضريح في مدرسة (عثمان باشا)، وعلى مدخل بيت الصلاة، ومدخل الضريح في جامع قورجي، وفي عقد محراب (عمورة محمد فلمتك) في طرابلس (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م)، ومحراب مسجد (زاوية عمورة) في جنزور (١١٣٤هـ/ ١٧٢١م)، وفي كل هذه النماذج نفذت بالحفر في الرخام والحجر، وعلى الباب الخشبي النخلي، وباب (جامع قورجي) نفذت (الوريدة) بالحفر البارز، ويمدنا منبر (جامع أحمد باشا)، بنموذج متميز لتنفيذ (الوريدة) في العمارة الليبية إذ أنها منفذه بلون مختلف من الرخام، ثم لبست في الرخام الأصلي للمنبر فبدت بارزة ومختلفة اللون، على عكس ما كان متبع من قبل في حفر الزخارف، المراد تنفيذها في الحشوات الرخاميه ذاتها.

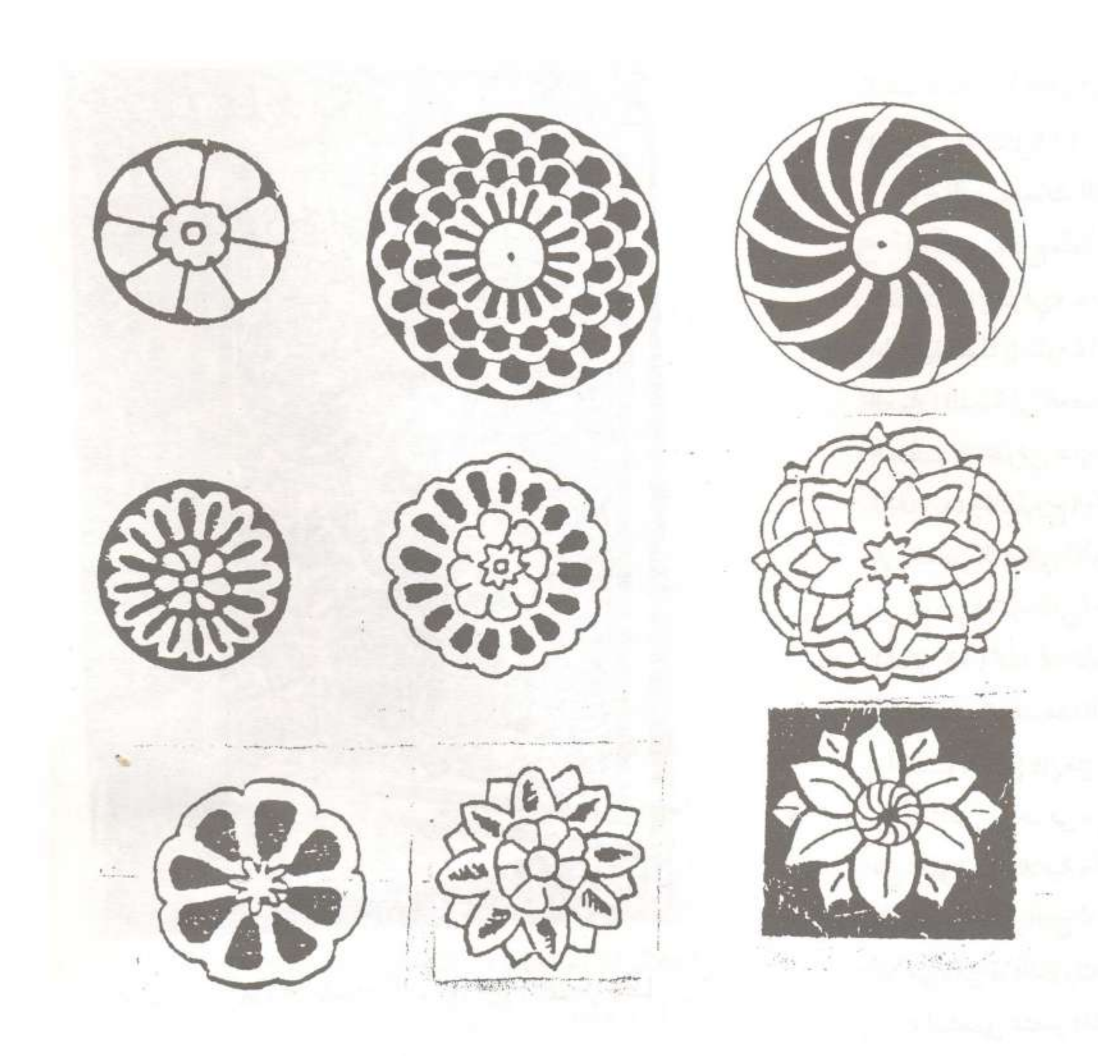
ويعتقد (د. علي البلوش) أن هذا الإسلوب في الزخرفة، من التأثيرات الأوروبيه، التي انحدرت إلى الفنون الإسلامية(٨)، ولكن هذا الأسلوب ليس غريباً على الفن الإسلامي، الذي أستخدم إسلوب تطعيم، وترصيع التحف الخشبية، بقطع من العظم، والعاج، والصدف، والزرنشان، وأنواع من الخشب ذي ألوان مختلفة مثل الأبنوس الأسود، والخشب الأحمر. كما كفتت المعادن النحاسية، والبرونزيه بالذهب واالفضة، كذلك فإننا نلاحظ منذ العصر المملوكي استخدام قطع من الرخام الأحمر والأسود، في عمل صنجات مزررة مع قطع الرخام الأبيض (أنظر شكل ٤ عن الوريدات في العمارة الليبية)، وبالإضافة إلى الوريدات نفذت أشكال مختلفة من الورود سواء بالحفر في الرخام، كما في



مدخل جامع شائب العين

منبر جامع قورجي، أو بالرسم، والتلوين على الخشب، وكذلك بلاطات القاشاني كما في جامع أحمد باشا «شكل ٥».

زهرة اللاله (شقائق النعمان)، من العناصر النباتية التي نفذت مفرده، كما في أركان اللوحة التأسيسيه، لمسجد (محمود بطرابلس) (شكل ٢)، وعلى جانبي (الهلال) الذي يتوسط محراب جامع شائب العين بطرابلس، كما نفذت ضمن تصميم زخرفي، كما في البلاطات الخزفيه، التي تغطي تجويف المحراب القديم، بجامع (درغوت باشا) والبلاطات على جدران جامع أحمد باشا وجامع قورجي.



الوريدات على العمائر الليبية

زهرة القرنفل: يختلف شكلها عما هي عليه في (الفن العثماني) إذ تمتاز بالتحوير سواء في شكل الساق أو الأوراق ويظهر ذلك في البلاطات الخزفيه، التي تغطي تجويف المحراب القديم، في جامع (درغوت باشا) (أشكال ٦ , ٧) والبلاطات في صنيه محراب (جامع أحمد باشا) (شكل٩).

من الأوراق النباتيه، التي أستعملت بكثره في الزخرفة الليبية، نصف المروحه التخيليه، التي تضم (زهرة قرنفل) أو (ورقة نباتيه ثلاثيه) أو وريده بداخلها، ونجد أمثله لها في زخارف المحراب القديم لجامع درغوت وكذلك في تجويف محراب (جامع أحمد باشا القرمانلي)، بالإضافة إلى الأوراق الثلاثية والخماسيه(شكل٨).

من أهم الأشجار التي مثلت في الزخرفة الليبية (شجرة السرو) وتوجد نماذج لها على الأبواب الخشبية لجامع شائب العين، وكذلك الأبواب الخشبية لجامع (أحمد باشا القرمانلي)، وباب (مسجد السور) بمنطقة المقاوية شمال شرق مصراته، والمرجح أنه منقول من أحد منازل مدينة طرابلس القديمة، وذلك لأن هذا الطراز من الأبواب، كان شائعاً في منازل مدينة طرابلس خلال العصر القرمانلي، كما نجدها على جانبي التصميم الزخرفي المنفذ على البلاطات الخزفية من عمل الخميري، التي تشتمل على أشكال معمارية مثل اللوحه

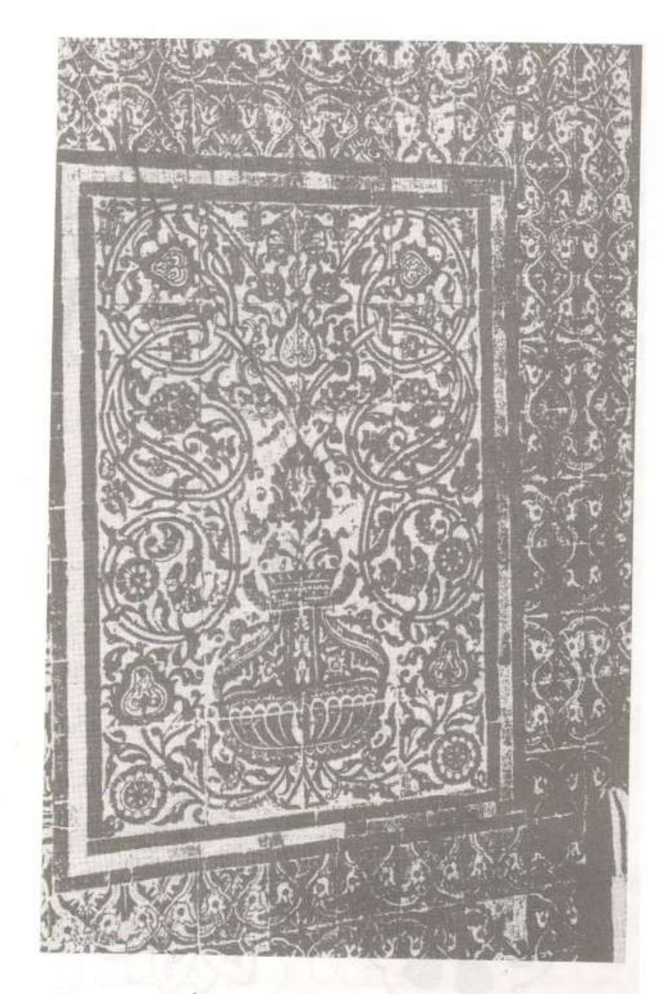
المحفوظه في متحف (الفن الأفريقي) في باريس، (شكل١٠) كما نفذت بالجص في باطن قباب بيت الصلاه بجامع (قورجي) (شكل١١).

٣- التصميمات الزخرفية النباتيه:

المزهريه تخرج منها أفرع نباتيه تضم أوراقاً وأزهار: وجد التصميم الزخرفي، على مختلف المواد، فنجده على التحف الخشبية منفذاً بإسلوب الحفر أو الرسم والتلوين ومن أمثلته في العمارة الدينية في العصر العثماني الأول، والعصر القرمانلي، العنصر الزخرفي على السده الخشبية، في كل من جامع (الخروبه) و(الدروج) و(محمود)و(شائب العين) وكلها ترجع إلى العصر العثماني الأول، أما نماذج هذا العنصر على الخشب في العصر (القرمانلي) فنجده في جامع أحمد باشا وقورجي، (شكل ١٢) كما نجد نفس العنصر في أسقف منازل طرابلس، ويجدر الذكر أن هذا العنصر، وجد بنفس الشكل في المنازل والقصور، في كل من تونس والجزائر والمغرب، ويعتقد أن هذا الشكل الزخرفي من التأثيرات الأوروبية، التي انتشرت في الفنون الإسلامية، عن طريق الدوله العثمانية، فهي قريبة من شكل الأطر التي تحدد الموضوعات الزخرفية، في الفترة الأخيرة من فن الباروك وبدايات الروكوكو(٩).

وأستعمل عنصر (المزهريه) و(التوريق) بكثرة على بلاطات القاشاني، في العصر القرمانلي، وقد تكون موضوعة داخل شكل هندسي، من عقد على شكل حدوة الفرس، كما في جامع (أحمد باشا) أو داخل عقد مفصص، أو مدبب كما في جامع (كورجي) وفندق (الغدامسي) بطرابلس، وفي بيت الربى محسن بطرابلس وكلها ترجع إلى القرنين ١٨، ١٩، أو أن تكون محاطة بزخارف نباتية، يحددها إطار رفيع من بلاطات عرضها ٣سم مطلية باللون الأسود، كما في البلاطات التي تغطي الجدران الخارجية لبيت الصلاة في جامع أحمد باشا (شكل٥).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا العنصر الزخرفي، من العناصر التي أستخدمت بكثرة في الفن البيزنطي، وانتقلت إلى الفن الإسلامي، منذ فترات مبكره مثل صور الفسيفساء في قبة الصخرة بالقدس (٧٢هـ/ ٦٩١م(١٠)، ونجد أمثلة لهذا الشكل الزخرفي في بعض المساجد العثمانية في تركيا ومصر،



تجميعة من بلاطات القاشاني بجامع أحمد باشا

تجميعة من بلاطات القاشاني في جامع درغوت



مثل بلاطات جامع رستم باشا في استانبول (٩٦٨هـ/ ١٥٦١م)، وفي جامع (ابراهيم أغا مستحفظان) في القاهرة، (١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م) وفي جامع محمد بك أبو الذهب بالقاهرة (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م).

ولكن هذا العنصر الزخرفي، انتشر على نطاق واسع في دول المغرب الاسلامي، ففي تونس توجد أمثله في جامع الصاحب في القيروان (ق١١هـ/ ١٧م)، وفي ضريح الشيخ محرز (تحمل البلاطات تاريخ سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م)، وفي تربة البايات، كما توجد عدة أمثلة في عمائر مدنية، مثل منزل عثمان، ومنزل عزوز، ومنزل حسين، ومنزل زغوان، ومنزل المونستيري، وقصر باردو وقصر البي، وتحمل كثير من هذه البلاطات اسم الصانع (يوسف الخميري) الذي عمل في النصف الأول من القرن ١٩م (شكل ١٠)، كما وجدت بلاطات مشبهة في العمارة في الجزائر، مثل قصر البي أحمد في الجزائر، وقصر حيدرا (١٧٩٩م(١١)).

تصميم زخرفي من عناصر نباتيه، عباره عن وريدة وسطى، تحيط بها أوراق نباتيه متماثلة، في كل جوانبها، غالباً ما تكون نصف مروحة نخيليه أو ورقة رمحية، مثال ذلك الزخرفة الرخاميه الملونه في منبر جامع أحمد باشا (شكل ١٣)، كما يوجد تصميم مشابه عبارة عن شكل هلال أو زهره تعلو الصنجة المفتاحية لعقود المداخل، وتنبثق منها أفرع نباتيه أو أوراق نخليه تنتهي بإنحناء يضم شكل ورقه نباتيه أو زهره كأسيه، ونجد مثالاً لذلك في كوشات عقود مداخل جامع شائب العين.

تصميم عبارة عن ورقة نباتية كبيرة الحجم، وعناصر من أوراق ثانوية، و نجد مثالا لها في زخارف بلاطات المحراب القديم لجامع درغوت (شكل ٦)، وهذه العناصر النباتية تقليد للرسوم المنفذة على الخزف العثماني ولكنها ليست على نفس درجة الاتقان، ويغلب على هذا النوع من البلاطات الألوان الأخضر والأزرق والأحمر والطوبي والبني، وقد إنتقل هذا النوع من البلاطات من تونس إلى ليبيا، كما إنتقل إلى الجزائر ونجد أمثلة له في مئذنة ضريح سيدي عبد الرحمن، التي جددت سنة (١٦٩٦م) (٢) كما انتقلت الى مصر، وبخاصة في مدن الساحل فنجد نماذج لها في مدينة رشيد مثل جامع دومقسيس (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)، وفي منزل علوان (ق١٢هـ/ ١٨م) وفي مدينة الاسكندرية توجد أمثلة في جامع إبراهيم تربانا، (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م)، وفي جامع عبد الباقي جوربجي (١١٧١هـ/ ١٧٥٨م) (١٣).

٤ ـ الزخارف الهندسية:

تنوعت الزخارف الهندسية في العمارة الاسلامية في ليبيا، وقد نفذت بنفس الأساليب الفنية التي نفذت بها الزخارف الكتابية، والزخارف النباتية، وبنفس المواد أيضاً، إذ أنها كانت تتداخل مع الزخارف النباتية في كثير من الأحيان مشكلة الجامات التي تضمها.

ومن أهم العناصر الزخرفية الهندسية:

* ***أشكال الأهلة والنجوم:*** **غالباً ماكانت الصنجة المفتاحية في عقود المداخل، وعقود المحارب، يزخرفها شكل هلال، وفي كثير من الأحيان فإن الهلال كان يحتوي على شكل نجمة خماسية، وإذا كان شكل الهلال قد استخدم في الزخارف في الحضارات القديمة (١٤)، واستمر عبر العصور التالية، إلا أننا نجد أنه أصبح أكثر انتشاراً في العصر العثماني في كافة الولايات التابعة للدولة العثمانية، فلقد كان الهلال شارة لمدينة (القسطنطينية) قبل خضوعها للعثمانيين، ثم اتخذها (العثمانيون) شارة لهم بعد فتح القسطنطينية، كما أصبح رمزاً لكل ما هو ديني (١٥) وارتبط ظهوره بالعمائر الدينية الاسلامية، ومن خلال دراسة العمائر الاسلامية في ليبيا، في العصر العثماني، نجد أن شكل الهلال والنجمة الخماسية يعد رمزاً للولاء للدولة العثمانية لذلك نجد أن العمائر التي أنشأها الولاة المعنيون من قبل السلطان العثماني، وكذلك الحكام الذين يدينون له بالولاء مثل حكام الأسرة القرمانلية، فإن عمائرهم تشتمل على هذا الرمز، ومن أمثلته مدخل ضريح سيدي محمد الحطاب، الذي أنشأه محمود خازندار سنة ١٠٩١هـ ١٦٨٠م، ومحراب مسجد**

محمود، ومدخل مسجد قره بغلي (ق١١هـ/ ١٧م) وفي ريشتي منبر جامع شائب العين، وفي مدخل جامع وضريح قورجي وفي العديد من مساجد الدواخل، هذا في الوقت الذي نجد أن العمائر التي أنشأها الدايات المعنيون، من قبل الحامية الانكشارية، ولم يحصلوا على تأييد السلطان، تخلو من هذا العنصر مثال ذلك جامع الناقة الذي جدده صفر داي سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م.

الأطباق النجمية: من العناصر الزخرفية الهندسية، التي استخدمت في الزخارف الليبية، فنجده محفوراً على الحجر، في عقد ضريح الدوكالي في مسلاته، (أنشأه عبد الواحد الدوكالي ـ ق. أهـ/ ١٦م)، وعلى عقد المدخل الشمالي الشرقي لبيت الصلاة في جامع شائب العين في طرابلس، ولكن هذا العنصر كان أكثر ظهوراً على بلاطات القشاني، ومن أمثلة ذلك البلاطات التي تغطي الجدار الشمالي الغربي لبيت الصلاة في جامع شائب العين، والجزء العلوي من بدن المئذنة في نفس الجامع، وكذلك الجزء العلوي من بدن مئذنة جامع خليل باشا، كما يحيط بمدخل بيت الصلاة في جامع أحمد باشا القرمانلي، أطر من بلاطات تشتمل على أشكال أطباق نجمية، كما نفذ نفس العنصر في الزخارف الجصية في محراب جامع قورجي، حيث يضم بداخله أشكال هندسية، ونباتية دقيقة، منفذة بطرقة (نقش حديدة)، ونجد نفس العنصر منفذاً بالألوان على الدكة الخشبية في جامع قورجي (شكل ١٤).

وعنصر الأطباق النجمية من العناصر الزخرفية الهندسية، التي شاع استخدامها في الفنون المملوكية، في مصر وبلاد الشام، وبصفة خاصة على التحف الخشبية، أما بالنسبة لاستخدامه على البلاطات الخزفية، فإن ذلك يرتبط ببلاد المغرب الاسلامي، فعقد حديث Marcais عن العمارة في (تلمسان) ذكر انه كانت توجد بلاطات مخصصة، ذات زخارف هندسية، عبارة عن أطباق نجمية، استعملت في زخرفة المباني الدينية والمدنية، في القرنين ١٣، ١٤هـ (١٦)م، واستمر هذا النوع من البلاطات التي تشتمل على زخرفة، عبارة عن أشكال أطباق نجمية، مستخدماً في (العمارة الجزائرية) حتى أواخر القرن ١٢هـ/ ١٥م، فتوجد في جامع سوق الغزل، (حسين باي) في مدينة الجزائر، (١٧١٣ ـ ١٧٣٦م) بلاطات عليها زخرفة على شكل أطباق من اثنى عشر ضلعاً(٧)، وهذه البلاطات تشبه تماماً البلاطات الموجودة على العمائر الليبية سواء من حيث التصميم أو من حيث الألوان وهي: الأصفر والأزرق والبني والأخضر ولمسات من الأبيض، مما يرجح أن هذا النوع من البلاطات كان يرد من الجزائر الى ليبيا.

الزخارف من أشكال معمارية: تنوعت هذه الزخارف مابين أشكال عقود، وتضم زخارف بداخلها، ومن أمثلة ذلك أشكال العقود الثلاثية الفصوص، المرسومة على بلاطات القاشاني، التي تغطي تجويف المحراب القديم، بجامع درغوت باشا (شكل ٦)، وأشكال العقود الثلاثية الفصوص المنفذة بالحفر البارز، على الرخام، وذلك في اللوح الرخامي بميضاءة مدرسة عثمان باشا (شكل ١٥)، وفي محراب جامع الخروبة، ومن أكثر أنواع العقود ظهوراً على بلاطات القاشاني العقد المدبب، والعقد على شكل حدوة الفرس، وتجد أمثلة لها على البلاطات في كل من جامع أحمد باشا وجامع شائب العين، كما توجد بكثرة في منازل طرابلس، مثل منزل الربى نسيم، وفي فندق القدامسي (شكل ١٠).

منذ النصف الثاني من القرن ١١هـ/ ١٧م، ظهر نوع من الزخرفة التي تنفذ على الجص، عبارة عن بائكة من عقود صماء، على شكل نصف دائري، أو حدوة الفرس (شكل ١٦)، وكان أول ظهورها في مناطق انتقال قبة ضريح عثمان باشا، الملحق بمدرسته في طرابلس (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م)(١٨)، ثم توالى ظهور هذا العنصر في العمارة الليبية ومن ذلك مناطق انتقال قبة عثمان بن رئيس، الملحق بجامع سيدي سالم المشاط، (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) وفي مثمن انتقال قباب بيت الصلاة في جامع خليل باشا بطرابلس، (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) ثم انتقل هذا العنصر الى عمارة العصر القرمانلي، ومن أمثلة ذلك جامع أحمد باشا القرمانلي (١١٥٠هـ/ ١٧٣٨م)، وكذلك في مسجد زاوية عمورة

بمدينة جنزور (غرب طرابلس) (١١٣٤هـ/ ١٧٢٣م)، وفي مسجد محمد عمورة فلمنك في طرابلس (١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م)، كما استخدم هذا العنصر، بكثرة في زخرفة الأجزاء العليا من جدران منازل طرابلس، في العصر القرمانلي، وبصفة خاصة جدران الرواق المحيط بفناء المنزل، ولعل خير الأمثلة على ذلك مانجده في قصر الكونتيسة (فولبي)، الذي شيد في العصر القرمانلي، ويشغله الآن متحف الفن الاسلامي بطرابلس.

واستمر هذا العنصر مستعملاً في زخرفة العمائر الليبية خلال العصر العثماني الثاني ومن أمثلة ذلك زخارف جامع الباشا في مدينة الخمس.

* *الزخرفة من أشكال مثلثات في أوضاع مختلفة:* وهذا العنصر أكثر انتشاراً في واحات برقة وفزان، وبصفة خاصة على المآذن ومداخل العمائر الدينية(١٩)، ومن أمثلته أشكال المثلثات في عقد المدخل، وكذلك أعلى عقد المحراب في مسجد أبو رأس في مدينة بني وليد (ق ١٠هـ/ ١٦م).

* وفي مقبرة الأسرة القرمانلية بطرابلس (ق ١٢هـ/ ١٨م).

وبالاضافة الى الأشكال السابقة، فلقد وجدت بعض العناصر الهندسية، التي استعملت على نطاق ضيق، ومن أمثلة ذلك الزخرفة، من خطوط مجدولة على هيئة دوائر متتالية، ونجد أمثلة لها على اللوحة التأسيسية، وكذلك التراكيب الرخامية للمقابر بمدرسة عثمان باشا بطرابلس، وكذلك الزخارف الاشعاعية، التي يرتبط في بعض الأحيان بكتابات، ففي تجويف محراب جامع مراد أغا، بتاجوراء، تخرج خطوط اشعاعية من شكل معقود، يتوسط المحراب بداخله، كتابة نصها [الله واحد] ونجد زخرفة مشابهة لذلك في محراب جامع الباشا، بمدينة الخمس حيث تخرج الاشعاعات من آية قرآنية ومن عبارة دعائية.

ثالثاً: التأثيرات في التصميمات الزخرفية على العمائر الليبية:

كما سبق ذكره، فإن ليبيا كانت تفتقد المهارات الفنية القادرة على إنجاز التصميمات الزخرفية التي تتسم بالثراء، واقتصرت مساهمة فناني ليبيا، على تنفيذ الأشكال الزخرفية البسيطة، التي يمكن ان نطلق عليها (الزخارف الشعبية) وتتمثل في أشكال هندسية من مثلثات أو معينات أو أشكال أكف أو أرجل أو أشكال الخناجر، بينما ترجع معظم التصميمات الزخرفية الى فنانين من بلاد المغرب، وبخاصة من تونس، والذين استفادوا في تصميماتهم ببعض العناصر الزخرفية العثمانية، التي انتشرت في معظم بلدان العالم الاسلامي، التابعة للدولة العثمانية، لذلك فإن التأثيرات في زخارف العمائر الليبية تنقسم الى تأثير مغربي وتأثير عثماني.

التأثيرات المغربية:

* الزخارف المنفذة على اللوح الرخامي في ميضاءة مدرسة عثمان باشا، وكذلك على مجموعة تراكيب القبور بنفس المدرسة، وتتمثل مظاهر هذا التأثير في:

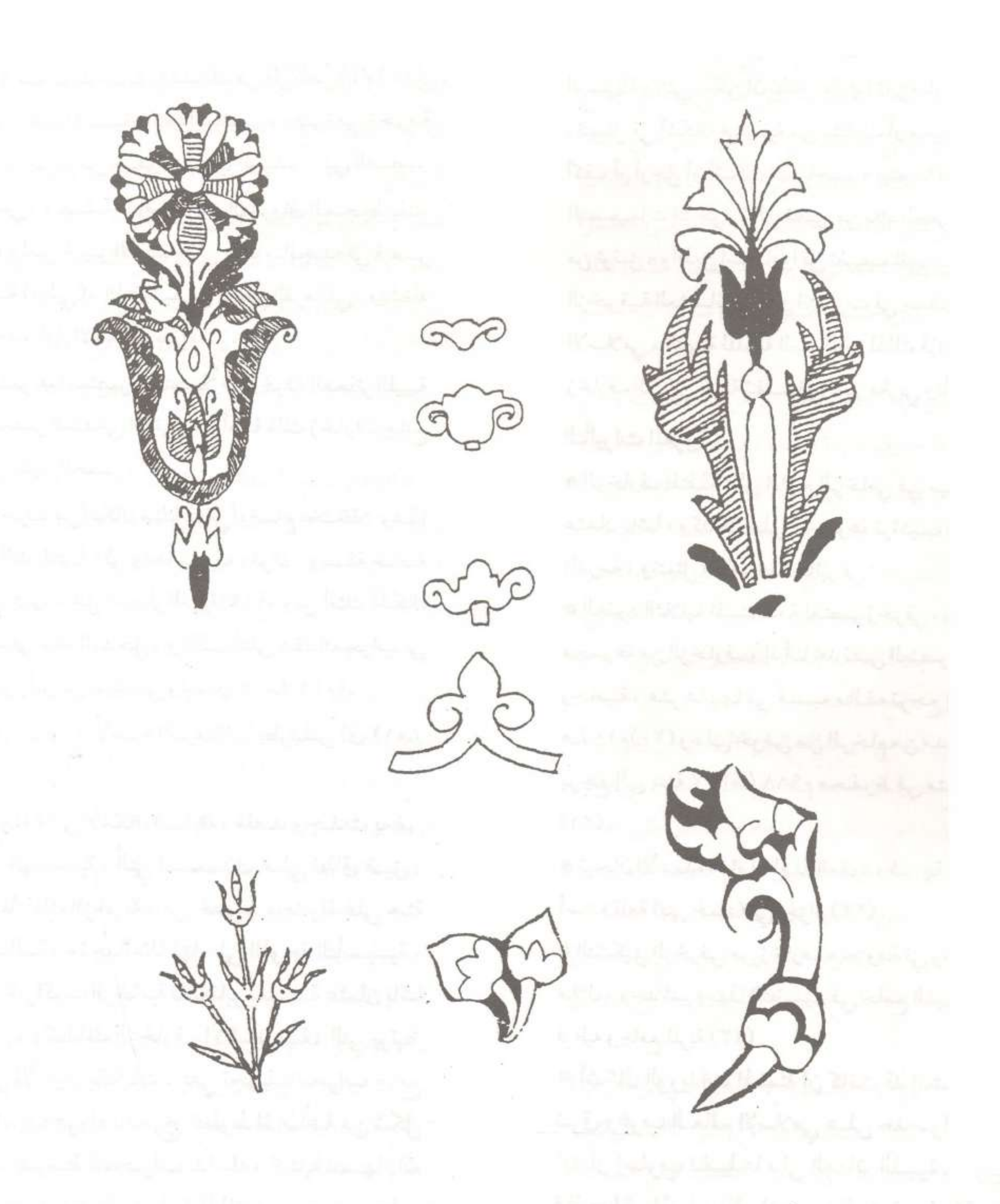
* العقود الثلاثية المستخدمة لعنصر زخرفي، يضم بداخله مجموعة من الزخارف، إذ أننا نجد نفس العنصر، على لوحة رخامية، عثر عليها في قصبه مالقه ترجع إلى القرن ٤ هـ/ ١٠م(٢٠) وعلى خوض من الرخام من مدينة الزاهرة، يرجع إلى سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٨م محفوظ في متحف مدريد (٢١).

* تيجان الأعمدة الحاملة لهذه العقود، شبيهة تماماً بتيجان أعمدة قلعة (بنى حماد) في الجزائر(٢٢).

* التشكيل الزخرفي من زخارف محزومة في وسطها بشكل هلال، وجد شبيه بهذا التصميم في جامع القيروان وجامع قرطبة وجامع المربة (٢٣).

*** أشكال الوريدات المثمنة إن كانت قد استخدمت في شرق وغرب العالم الإسلامي على حد سواء، إلا إننا نجد أن إسلوب تنفيذها على العمائر الليبية، أقرب إلى نماذجها في المغرب الاسلامي، وذلك في طريقة وضعها داخل دائرة، والوريدات المثمنة في ليبيا تشبهُ مثيلاتها في منزل في المنيستير بتونس يرجع إلى ق هـ/ ٩م، كما نجد نفس الشكل على بعض اللوحات الخزفية من عصر ملوك الطوائف في الأندلس (ق ٥ هـ/ ١١م).**

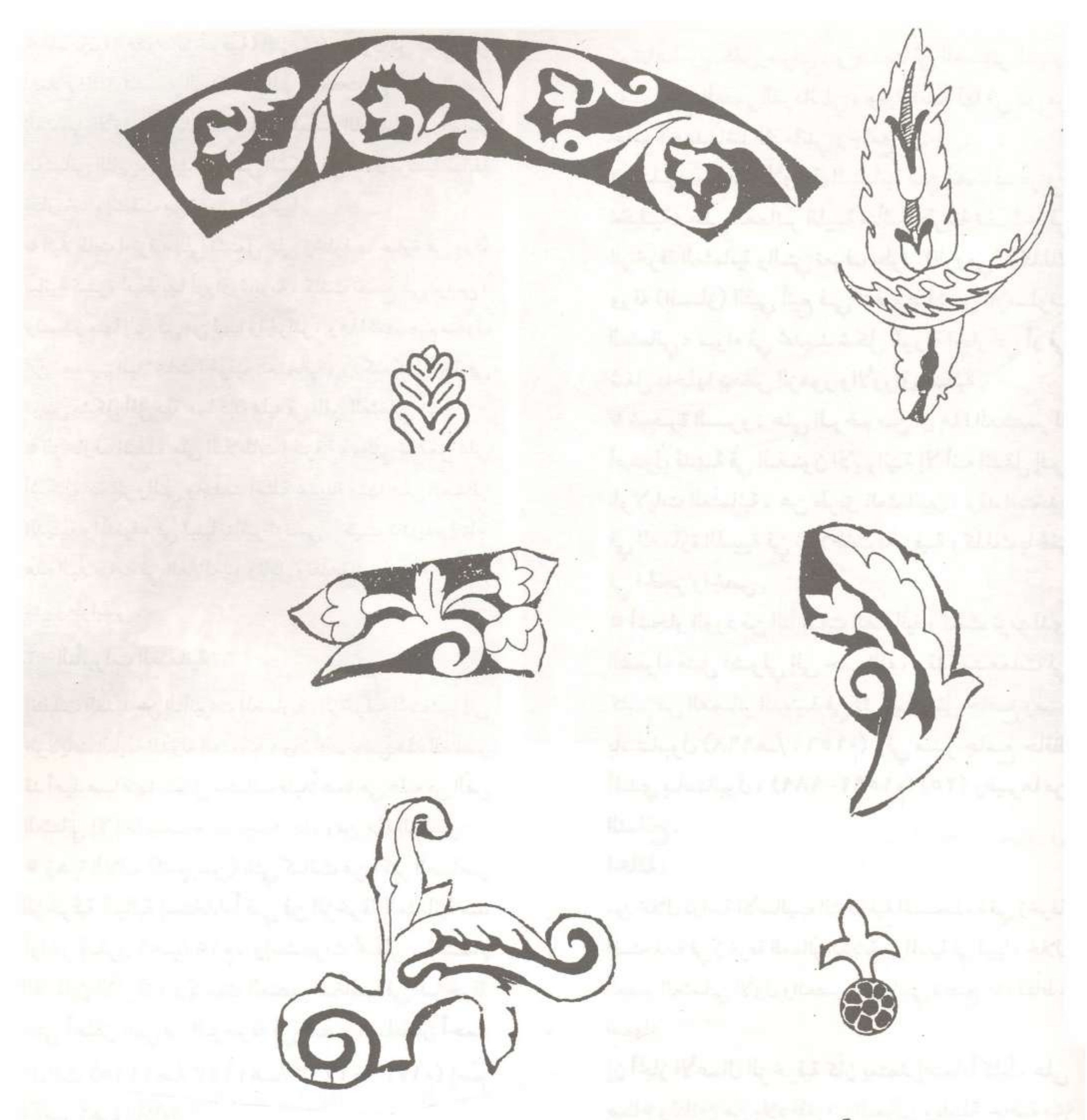
* أشكال الأطباق النجمية المنفذة على بلاطات القاشاني، والحشوات الخشبية، وبعض القطع الحجرية، في العمائر



١ أشكال الزهور على العمائر الليبية

الليبية متأثرة بالطراز الزخرفي المغربي، حيث كانت الزخرفة برسم الأطباق النجمية، من العناصر السائدة في الزخرفة المعمارية وكذلك الزخارف المحفورة على الحجر، والرخام، وزخارف البلاطات في المغرب والأندلس، منذ القرن ٧هـ/ ١٣م (٢٤) كما أن البلاطات المشتملة على هذا العنصر من انتاج مصانع تونس والجزائر.

* البوانك من عقود صماء محمولة على أعمدة أو دعامات من العناصر المغربية الأندلسية التي نقلها الصناع التونسيون إلى ليبيا، وهي من أكثر العناصر الهندسية استعمالاً في زخرفة العمائر المدنية والدينية في ليبيا، ولكن نلاحظ أن هذا العنصر



الاوراق النباتية في تصميمات الزخرفية الليبية

اقتصر على الزخرفة العمائر المدنية والدينية في ليبيا، ولكن نلاحظ أن هذا العنصر إقتصر على الزخرفة القالبية في الجص فقط، بينما إستخدم في بلاد المغرب، والأندلس، على الحجر والرخام، وقد يكون إقتصارها على مدة الجص في ليبيا، يرجع إلى سهولة تشكيل هذه المادة بالإضافة إلى رخصها.

* الزخرفة الجصية من زخارف نباتية هندسية دقيقة مخرمة، والتي تعرف بأسم (نقش حديدة) من التأثيرات التونسية في الفنون الزخرفية الليبية، وتوجد أمثلة لها في جامع الدروج، وجامع احمد باشا وجامع قورجي بالإضافة الى إنتشارها في العمائر المدنية.

* أشكال (العقود الزخرفية) التي تمتد بطول كل ضلع من أضلاع المآذن المثمنة، الزبدان، والتي وجدت في أواخر العصر العثماني الأول، وإستمرت خلال العصر القرمانلي، والعصر العثماني الثاني، وجدت بنفس الشكل في مآذن تونسية سابقة التاريخ، وإنتقلت من تونس إلى ليبيا.

* البلاطات الخزفية التي تشتمل على زخارف، عبارة عن ورقة نباتية كبيرة تحيط بها أوراق ثانوية، كانت تصنع في تونس، وتصدر منها إلى كل من ليبيا والجزائر، وهذا التصميم منقول عن تصميم البلاطات الخزفية العثمانية، ولكنه كان ينفذ في تونس بشكل أقل دقة عما كان عليه في الفن العثماني.

* الزخارف المنفذة على البلاطات الخزفية، والتي تشتمل على أشكال عمائر والتي وجدت أمثلة عديدة منها على العمائر الدينية والمدنية، في ليبيا بتأثير تونسي، حيث كان يتم إنتاج هذه البلاطات في القلالين، ونابل ونقلها إلى ليبيا وبخاصة مدينة طرابلس.

٢- التأثيرات العثمانية:

إنتقلت العديد من التأثيرات المعمارية والزخرفية العثمانية إلى الولايات التابعة للدولة العثمانية، وان كان بعض هذه العناصر قد أعيد صياغتها بشكل مختلف قليلاً عما هي عليه في الفن العثماني إلا إنها ظلت تحتفظ بجوهرها، ومن هذه العناصر:

*** زهرة اللاله (السوسن) التي كانت من أكثر العناصر الزخرفية النباتية إستخداماً في فن الزخرفة العثمانية منذ أواخر القرن ٩هـ/ ١٥م، وإستمرت تحظى باهتمام الفنانين الأتراك، وكانت العنصر الغالب في الزخرفة حتى أطلق على فن الزخرفة في عصر السلطان أحمد الثالث (١١١٥هـ/ ١١٤٣هـ/ ١٧٠٣-١٧٣٠م) إسم «عصر زهرة اللاله».**

وقد انتقل هذا العنصر الى فن الزخرفة التونسية، ومنها إنتقل إلى فن الزخرفة الليبية.

*** زهرة القرنفل: من العناصر الزخرفية العثمانية، ولكنه نفذ في زخارف المغرب الإسلامي بشكل محور الى حد ما.**

*** البلاطات الخزفية العثمانية التي تنسب إلى مدينة كوتاهية وتيكفورسراي، وجدت في العمائر الدينية والمدنية في العصر القرمانلي، ونجد أمثلة لها في كل من جامع أحمد باشا القرمانلي وجامع قودجي.**

*** اسلوب تنفيذ الأوراق النباتية من أنصاف مراوح نخيلية، على العمائر الليبية متأثر بطريقة تنفيذها في الزخرفة العثمانية والتي تعرف بطراز (الرومي) وكذلك ورقة (الساز) التي أتبع في تنفيذها نفس للإسلوب العثماني، سواء في تحديد شكل الورقة الخارجي أو في شغل داخلها ببعض الزهور والأوراق النباتية.**

*** شجرة السرو: على الرغم من أن هذا العنصر له أصول قديمة في الفنون الايرانية إلا أنه انتقل إلى الولايات العثمانية، عن طريق العثمانيين، وقد استخدم في العمارة الليبية في البلاطات الخزفية وكذلك بالحفر في الحجر والجص.**

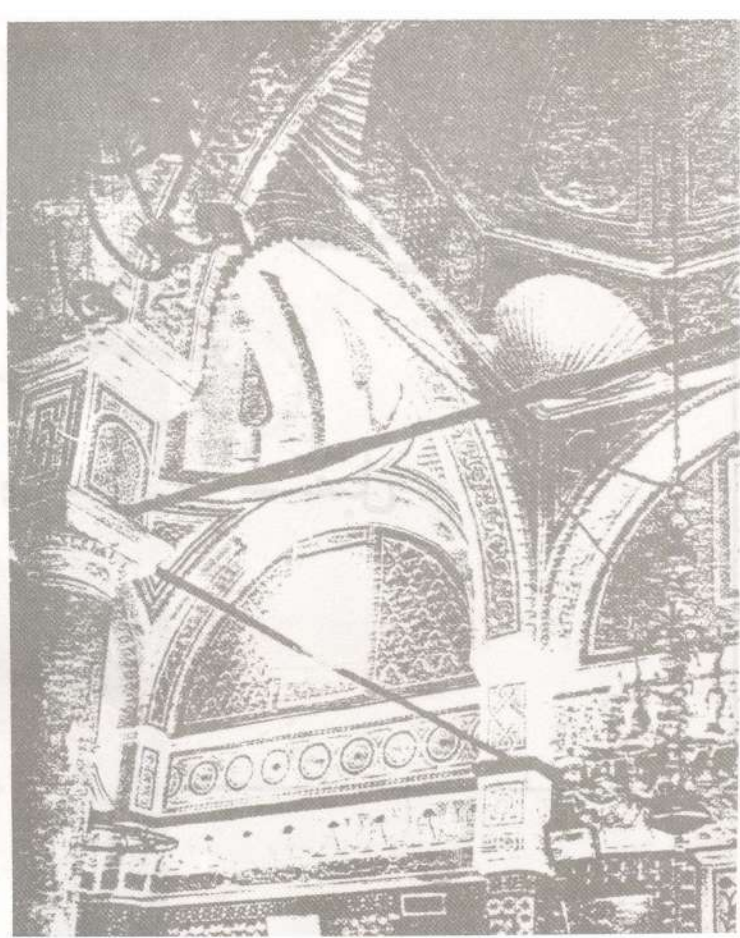
*** أشجار الورد من التأثيرات العثمانية وكانت ترمز لدى الشعراء مثل فضولي إلى حب الله، وقد استعملت في كثير من العمائر الدينية في (تركيا) مثل جامع رستم باستانبول (٩٦٨هـ/ ١٥٦١م) وفي منبر جامع حافظ أفندي باستانبول، (٩٨٩-١٥٩٢م) (٢٥) وغيرها من النماذج.**

الخاتمة:

من خلال دراسة الأساليب الزخرفية المستخدمة في زخرفة المستخدمة في زخرفة العمائر الدينية، والمدنية في ليبيا، خلال العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي تتضح عدة نقاط، أهمها:

إن أنجاز الأعمال الزخرفية كان يعتمد إعتماداً كلياً، على صناع وفنانين من بلاد المغرب العربى وبصفة خاصة من تونس، وكذلك فإن معظم العناصر الزخرفية من مصادر مغربية وعثمانية، الحرص على توزيع العناصر الزخرفية توزيعاً متماثلاً، حول وحدة زخرفية وسطى عبارة عن وريدة أو نجمة أو شكل هلال، وإعتبار الصنجة المفتاحية في الفتحات المعقودة مركز التصميم الزخرفي، الذي يشغل كوشات العقود، وقد يمتد في بعض الأحيان إلى

issue: 59-60 1995 Alhyat Altashkilya .. YONIS ALSHALOI



زخارف جامع قورجي



الزخارف المنفذة على الخشب في جامع أحمد باشا

عضادات الأبواب، كما وجد نفس التصميم على الأحجار والأخشاب والحشوات الرخامية.

استخدام بعض الزخارف التي لها دلالات مثل رسوم الأهلة، والنجوم، والزخارف الأشعاعية التي تخرج من رسم الجلالة أو الآيات القرآنية، وكذلك أشكال الأكف، والأرجل الآدمية، والخنازير في مساجد دواخل ليبيا.

تحقيق مفهوم (اللانهائية) في بعض الزخارف مثل الزخرفة النباتية (الأرابيسك) التي تنبثق من بعضها البعض في شكل متواصل، وكذلك شكل (الأطباق النجمية) التي تمتد أضلاعها لتكون أطباقاً نجمية أخرى وهكذا.

أن الزخارف جاءت متوافقة، في معظم الأحيان، مع الأماكن التي نفذت عليها، مما يدل على أن إنجاز هذه الزخارف كان يتم تبعاً لخطة زخرفية وليست عملاً عشوائياً.